ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر" ليس المقصود منه أن إخناز اللحم لم يكن موجودًا قبل بني إسرائيل فوُجد بسببهم، وإنما المقصود أنهم أول من اخترع الادخار الذي ينتج عنه الإخناز، فجاءت الأمم من بعدهم فأخذوا هذه العادة التي تؤدي إلى نفس النتيجة، كما أن المقصود بالخيانة ليس هو الزنا، وإنما هو الإشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة.

الشبهة الثامنة عشرة

الزعم أن أبا هريرة ﷺ كان يروي العجائب والغرائب(*)

مضمون الشبهة:

يزعم بعض المشككين أن جملة من الأحاديث التي رواها أبو هريرة عن النبي ﷺ من قبيل العجائب والغرائب، ويستدلون على ذلك بأحاديث تكثير الطعام القليل للنبي ﷺ، وحديث الشفاعة العظيم، وأحاديث الفتن وعلامات النبوة، وأحاديث أن الأئمة من قريش. ويتساءلون: أليست هذه الأحاديث من العجائب والغرائب التي لا يصدقها العقل؟ رامين من وراء ذلك إلى الطعن فيما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ وصولًا إلى الطعن في السنة النبوية.

وجوه إبطال الشبهة:

١) إن أحاديث تكثير الطعام للنبي ﷺ أحاديث صحيحة متواترة، وهي تعبير صادق على تأييد الله لنبيه بالمعجزات، والمعجزة لا بد أن تكون أمرًا خارقًا للعادة.

٢) إن شفاعة النبي ﷺ أمر ثابت بالقرآن الكريم، فلماذا يرد هؤلاء الحاقدون الأحاديث التي تثبتها، وهم يعترفون بالقرآن؟ وأحاديث الشفاعة رواها صحابة آخرون غير أبي هريرة، فما العجب والغرابة في أن يرويها أبو هريرة كما رواها غيره من الصحابة؟!

٣) إن أحاديث الفتن هي أحاديث صحيحة متواترة رواها أبو هريرة وغيره من كبار الصحابة الآخرين، وهي من الأمور الغيبية التي اختص الله بها نبيه الكريم للدلالة على صدق نبوته، وقد وقع بعضها بدقة على الوجه الذي أخبر به ﷺ، وقد أفرد البخاري في صحيحه ـ وهو أصح كتب الحديث ـ كتابًا بعنوان "الفتن".

٤) إن أحاديث أن الأئمة من قريش أحاديث صحيحة ثابتة، رواها جمع غفير من الصحابة غير أبي هريرة، كما رواها البخاري ومسلم والإمام أحمد وغيرهم من أصحاب السنن، والحكمة من اختصاص النبي ﷺ قريشًا بهذا الأمر أنه راعى ما كان لقريش في عصره من القوة والعصبية التي يرى أن عليها تقوم الخلافة أو الملك.

التفصيل:

أولا. أحاديث تكثير الطعام لرسول الله ﷺ صحيحة متواترة:

إن هذه الأحاديث التي استنكرها الطاعنون، زاعمين أنها من قبيل العجائب والغرائب هي أحاديث صحيحة متواترة عن النبي ﷺ، رواها البخاري ومسلم في صحيحهما، فما رُوي عن الصحابي أبي هريرة ﷺ

(*) الرد على الطاعن في أبي هريرة ﷺ، الحسن بن علي الكتاني، مرجع سابق.

في هذه المشاهد والمعجزات إنما رُوي متواترًا، وطالما كانت الأحاديث متواترة فما الإشكال ولِمَ الاستنكار إذن؟!

كما أن هذه الأحاديث لم تُرو عن أبي هريرة ﷺ وحده، بل رواها غيره من الصحابة ﷺ، وقد علق القاضي عياض في كتابه "الشفا" على أحاديث هذا الباب، والتي تتحدث عن تكثير الطعام للنبي ﷺ فقال: "وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم أضعافهم من التابعين، ثم من لا يَنْعَدُّ بعدهم، وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة، ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق، ولا يسكت الحاضر لها على ما أُنكِرَ منها"[1].

فإذا كانت هذه الأحاديث صحيحة متواترة رواها جمع من الصحابة غير أبي هريرة، فلماذا يدَّعي هؤلاء أن أبا هريرة يروي عجائب وغرائب غير صحيحة؟! وما العجيب والغريب في هذه الأحاديث الصحيحة؟ وإنما هي من معجزاته ﷺ التي أجراها الله على يده، وهذه المعجزات علامات على نبوته، فكل نبي مُرسَل قد أيده الله بالمعجزات؛ لتؤكد تلك النبوة، كما حدث مع عيسى عليه السلام عندما طلب منه بنو إسرائيل أن يُنزِّل عليهم مائدة من السماء، وقد أجابه الله فيما طُلِبَ منه، وغيرها من المعجزات التي أيدت الأنبياء عليهم السلام.

وسيدنا محمد ﷺ ليس بدعًا في ذلك، فقد أيَّده الله بمعجزات كثيرة، منها ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس: "أن أم سُليم ـ أمَّهُ ـ عمدت إلى مُدٍّ من شعير جَشَّتْه[2]، وجعلت منه خطيفة[3] وعصرت عُكَّة[4] عندها، ثم بعثتني إلى النبي ﷺ فأتيته ـ وهو في أصحابه ـ فدعوته، قال: ومن معي، فجئت، فقلت: إنه يقول ومن معي، فخرج إليه أبو طلحة قال: يا رسول الله: إنما هو شيء صنعته أم سليم، فدخل، فجيء به وقال: أدخل عليَّ عشرة، فأدخلوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: أدخل عليَّ عشرة، فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: أدخل عليَّ عشرة... حتى عدَّ أربعين، ثم أكل النبي ﷺ ثم قام، فجعلت أنظر هل نقص منها شيء"[5]؟

ومنها ما رواه البخاري أيضًا عن جابر في إطعامه ﷺ يوم الخندق ألف رجل من صاع من شعير وعناق[6]، قال جابر: "فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن بُرمتنا (القِدْر) لتغطُّ (تغلي من حرارة النار) كما هي (أي على هيئتها الأولى) وإن عجيننا ليُخبز"[7]، وكان رسول الله ﷺ بصق في العجين والبرمة وبارك، أي: دعا لهم بالبركة.

ومنها أيضًا حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في الصحيحين: "كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، وذكر عبد الرحمن أنه عُجِنَ صاع من طعام، وصُنِعت شاة، فَشُوِيَ

---

١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، (١/ ٢٩٧، ٢٩٨).

٢. جَشَّتْه: جعلته دقيقًا غير ناعم.

٣. خطيفة: عصيدة، وأصلها أن يؤخذ لبن ويدور عليه ويطبخ، ويلعقها الناس فيخطفونها بالأصابع والملاعق فسميت بذلك.

٤. العُكَّة: زِقٌّ صغير للسمن، والجمع: عُكَكٌ وعِكاك.

٥. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الأطعمة، باب: من أدخل الضيفان عشرة عشرة، والجلوس على الطعام عشرة عشرة، (٩/ ٤٨٦)، رقم (٥٤٥٠).

٦. العناق: هي أنثى الماعز الصغيرة دون السنة.

٧. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب، (٧/ ٤٥٧)، رقم (٤١٠٢).

سوادُ بطنها[1]، قال: وايم الله، ما في الثلاثين والمائة إلا وقد حَزَّ النبي ﷺ له حُزَّة (قطع له قطعة) من سواد بطنها، إن كان شاهدًا أعطاه إياه، وإن كان غائبًا خبأ له، فجعل منها قصعتين (قدرين) فأكلوا أجمعون وشبعنا، ففضلت القصعتان، فحملناه على البعير"[2].

ويعلق ابن حجر العسقلاني على هذا الحديث بقوله: "قد ورد تكثير الطعام في الجملة من أحاديث جماعة من الصحابة محل الإشارة إليها علامات النبوة"[3].

ومما سبق يتضح لنا أن أحاديث أبي هريرة ﷺ والتي تحدثت عن تكثير القليل من الطعام للنبي ﷺ أحاديث صحيحة متواترة عن النبي ﷺ، رواها مجموعة أخرى من الصحابة الكرام، ثم رواها عنهم أضعافهم من التابعين، وليس أبو هريرة وحده هو الذي روى مثل هذه الأحاديث، وليست من الغرائب والعجائب؛ لأنها من معجزاته ﷺ التي أجراها الله تعالى لتثبت نبوته، والمعجزة لا بد أن تكون خارقة للعادة فلا إشكال إذن في مثل هذه الأحاديث.

ثانيًا. الشفاعة ثابتة بالقرآن لرسول الله ﷺ، فلماذا يرد هؤلاء الأحاديث التي تثبتها؟!

إن الشفاعة ثابتة للنبي ﷺ بالقرآن الكريم في غير آية، والطعن في حديث شفاعة النبي ﷺ إنما هو من قبيل الطعن فيما هو معلوم من الدين بالضرورة؛ وذلك لدلالة الكتاب والسنة الصحيحة على ذلك.

ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تثبت الشفاعة، وأنها حق وواقع للملائكة ولرسول الله ﷺ ولمن شاء الله له أن يشفع، ومنها قوله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۚ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ (الأنبياء)، وواضح أن هذه الآيات تثبت الشفاعة، فمن أنكر الشفاعة فقد أنكر هذه الأيات. ويقول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

فقوله ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ يثبت وقوع الشفاعة، وإنها حق وواقع، ومن أنكرها فقد أنكر هذا القدر من القرآن الكريم، وهناك آيات كثيرة تثبت الشفاعة وتثبت أنها بإذن الله تبارك وتعالى وأنها ليست للكافرين[4].

وهكذا أثبتت النصوص القرآنية شفاعة النبي ﷺ، فكيف نقول عن أمر أثبته القرآن الكريم بأنه من العجائب والغرائب؟!

وقد ورد حديث الشفاعة العظمى من ثلاث طرق وهي:

الأولى: أبو قدامة عبيد الله بن سعيد، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي، وعبد الرحمن بن بشير بن الحكم، قالوا: حدثنا يحيى بن سعيد، قال حدثني أبو زرعة ابن

---

١. سواد بطنها: أي كبدها أو كل ما في البطن من كبد وغيرها.

٢. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الهبة، باب: قبول الهدية من المشركين، (٥/ ٢٧٢)، رقم (٢٦١٨).

٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (٥/ ٢٧٥).

٤. الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة، عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، دار الاعتصام، القاهرة، ص٢٥، ٢٦ بتصرف.

عمرو بن جرير عن أبي هريرة ﷺ.

الثانية: علي بن المنذر، قال: حدثنا أبو فضيل، قال: حدثنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة ﷺ.

الثالثة: عبدة بن عبد الله الخزاعي، قال حدثنا ابن فضيل، قال: حدثنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة ﷺ، وهذه الطرق الثلاث ذكرها محمد بن خزيمة في كتابه "التوحيد وإثبات صفات الرب"[1].

ومما يؤكد صحة ما رُوي عن أبي هريرة في الشفاعة، أن حديث الشفاعة العظمى، وهي خاصة بنبينا ﷺ، رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة بني إسرائيل - الإسراء - باب قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾(الإسراء: ٣)، ورواه أيضًا في كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب: ذكر الشفاعة من حديث أنس، وأوله: "يجتمع المؤمنون يوم القيامة..."، ورواه الترمذي في كتاب "صفة القيامة، والرقائق والورع"، باب: ما جاء في الشفاعة من حديث أبي هريرة بلفظ: "يجمع الله الناس الأولين والآخرين"، وعلَّق عليه الترمذي قائلًا: "هذا حديث حسن صحيح"[2].

ومما سبق يتضح أن الحديث ورد في كتب الصحاح فهو متواتر، فلماذا الاستنكار والتعجب منه ؟! وقد أكد القرآن الكريم ثبوت الشفاعة العظمى للنبي ﷺ، بقول الله ﷻ: ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ (الإسراء).

فقوله ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ فعسى تفيد القطع والوجوب؛ لأنها من كلام الله تعالى، وهو ﷻ الخالق للكلام وتفسيره، والمعنى: أن الله سيبعثك مقامًا محمودًا، أي مقامًا يحمده لك كل الناس، ولقد فسره ﷺ بأنه الشفاعة العظمى.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: "قال رسول الله ﷺ في قوله ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ (الإسراء)، وسئل عنها، قال هي: الشفاعة"[3][4].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حَلَّت له شفاعتي يوم القيامة"[5].

فأيُّ غرابة وأي عجب من حديث الشفاعة، وقد رواه غير أبي هريرة كثير من الصحابة، وأوردته كتب

---

١. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص٢٤٢.

٢. انظر: المناعة في إثبات الشفاعة، أمير فتوح عبد العظيم شيشي، مكتبة البلد الأمين، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ، هامش ص٣٨.

٣. صحيح: أخرجه الترمذي (بشرح تحفة الأحوذي)، كتاب: التفسير، باب: سورة بني إسرائيل، (٨/ ٤٥٤)، رقم (٣٣٤٦). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣١٣٧).

٤. الرد على د. مصطفى محمود في إنكار الشفاعة، د. عبد المهدي عبد القادر، مرجع سابق، ص٣٠.

٥. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: التفسير، باب: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، (٨/ ٢٥١)، رقم (٤٧١٨).

الصحاح؟ ولماذا التعجب من أمر أثبته القرآن الكريم ونصَّ عليه®؟!

ثالثًا. أحاديث الفتن:

إن أحاديث الفتن هي أحاديث صحيحة متواترة، رواها أبو هريرة وغيره من الصحابة، وهي من الغيبيات التي اختص الله بها نبيه الكريم؛ معجزة تثبت الإيمان في القلوب حين وقوعها. فما العجب في ذلك، وهي أخبار أخبر بها النبي ﷺ، وتحققت تلك الأخبار بالفعل كما أخبر بها ﷺ، بل منها نبوءات لا يزال يتحقق وقوعها حتى يومنا هذا ومنها سيقع في المستقبل، وهذه الأخبار التي رواها أبو هريرة، هي أخبار صحيحة متواترة عن النبي ﷺ رواها أبو هريرة ومجموعة أخرى من الصحابة الكرام، فلماذا إذن الدعوى بأن أبا هريرة يروي عجائب وغرائب؟ ومما يؤيد صحة هذه الأخبار التي تحدثت عن الفتن والغيبيات، أن الإمام البخاري في صحيحه جعل كتابًا خاصًّا سماه "الفتن"[1]، وقد اشتمل هذا الكتاب على مجموعة من الأبواب وصلت إلى ثمانية وعشرين بابًا، تضم من الأحاديث المرفوعة مائة حديث وحديث، الموصول منها سبعة وثمانون، والباقية معلقات ومتابعات، المكرر منها فيه، وفيما مضى ثمانون والخالص إحدى وعشرون، ووافقه مسلم على تخريجها سوى حديث ابن مسعود: "شر الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء"، وحديث أنس: "لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه"، وحديث رواه ابن مسعود في قصة الجمل، وحديث في النفث، وحديث أنس في المدينة: "فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله، وفيه من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم خمسة عشر أثرًا"[2].

فكيف يدَّعون أن هذه المجموعة الكبيرة من الأحاديث من العجائب والغرائب التي يرويها أبو هريرة وقد رواها كبار الصحابة منهم: ابن عباس، وزيد بن وهب، وأم سلمة وأبو حازم، وزينب بنت جحش، وسليمان بن صرد، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك وغيرهم ﷺ.

وبعد أن بيَّنا صحة أحاديث الفتن سندًا فإنه لا عجب في متنها، فمن "الدلائل الواضحة على صدق نبوته ﷺ إخباره بالعديد من الأمور الغيبية التي أثبتت الأيام والوقائع مصداقيته؛ إذ وقعت بدقَّة على الوجه الذي أخبر به ﷺ، وكيف لا وهو الرسول المبعوث من رب العالمين، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

إن علم الغيب أمر اختص به الله ﷻ نفسه، ولا يمكن لأحد من الخلق معرفة شيء من علم الغيب، ولو كان ملكًا مقربًا أو نبيًّا مرسلًا، إلا بإذن الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ

® في **"صحة أحاديث الشفاعة وتواترها"** طالع: الوجه الأول، من الشبهة الحادية والثلاثين، من الجزء التاسع (النبوات). وفي **"صحة حديث شفاعة النبي لأبي طالب"** طالع: الوجه الأول، من الشبهة الثانية والثلاثين، من الجزء التاسع (النبوات).

١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، (١٣/ ١١٨).

٢. انظر: صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الفتن، (١٣/ ٥: ١١٩)، رقم (٧٠٤٨: ٧١٣٦).

مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ (الأنعام).

ولكن جرت سنة الله في عباده المرسلين أن يطلعهم على بعض ما عنده ﷻ من أخبار الغيب؛ تأييدًا لهم وتمكينًا لدعواتهم، وتثبيتًا لأتباعهم، وإقامة الحجة على أقوامهم ودحضًا لمفتريات أعدائهم، يقول ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ (الجن).

وقد أوحى الله لنبينا محمد ﷺ بكثير من أخبار الغيب، كما أوحى من قبل بمثل ذلك لسائر الأنبياء والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"[1].

ومما يثبت أن الله تعالى أطلع نبيه ﷺ على بعض الأمور الغيبية ورواية الصحابة لذلك ـ ما رواه أبو زيد ـ عمرو بن أخطب ـ قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا"[2].

فهذا الحديث الذي رواه أبو زيد، يدل "دلالة قاطعة على علم رسول الله ﷺ بكثير من أخبار الغيب، وكان ﷺ يخبر بها أصحابه، وقد تحقق كثير منها في زمانه، وبعد وفاته، ولا تزال الأيام تكشف عن صدق ما أخبر به ﷺ على الوجه الذي أخبر به، مما يؤكد صدق نبوته وصدق ما جاء به عن ربه ﷻ، ولو لم يكن يوحى إليه من علّام الغيوب لخالف خبره الوقائع ولو مرة واحدة، ولكن هذا لم يحدث قط؛ لأنه لا يقول من عند نفسه بل يخبر عن الحق ﷻ"[3].

ومما سبق يتضح لنا أن أحاديث الفتن التي رواها أبو هريرة ﷺ ليست عجيبة ولا غريبة؛ وذلك لأنها من المتواتر عن النبي ﷺ، رواها صحابة كثيرون غير أبي هريرة، وقد وردت هذه الأحاديث في أصح كتب السنة، بل خصصوا كتبًا فيها تحت عنوان "كتاب الفتن"، وهذه الأخبار أوحى الله لنبيه ﷺ بها كما أوحى بمثلها من قبل لسائر الأنبياء والرسل، فهي من علامات نبوته ورسالته، فما وجه العجب والغرابة في ذلك®؟!

رابعًا. أحاديث "الأئمة من قريش" أحاديث صحيحة، متواترة:

إن أحاديث الأئمة من قريش أحاديث صحيحة ثابتة، رواها جمع غفير من الصحابة، مثل أبي برزة وأنس وعلي وأبي بكر الصديق وابن عمر وعمرو بن العاص ومعاوية وجبير بن مطعم وعبد الله بن السائب وعبد الله بن حنطب وجابر بن عبد الله[4]، وقد

---

١. الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها، هدى عبد الكريم مرعي، دار الفرقان، الأردن، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٤٨، ٢٤٩.

٢. صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، (٩/ ٣٩٩٤)، رقم (٧١٣٤).

٣. الأدلة على صدق النبوة المحمدية، هدى عبد الكريم مرعي، مرجع سابق، ص٢٤٩، ٢٥٠.

® في "صحة الأحاديث الواردة في أن الفتنة من المشرق" طالع: الوجه الأول، من الشبهة الثامنة عشرة، من الجزء العاشر (السمعيات).

٤. الرد على الطاعن في أبي هريرة، الحسن بن علي الكتاني، مرجع سابق، ص٢٨، ٢٩.

أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما، والإمام أحمد في مسنده، وغيرهم من أصحاب السنن، وقد نصَّ على تواترها الحافظان ابن حجر والسخاوي.

أما حديث البخاري فقد أخرجه بسنده عن معاوية، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن هذا الأمر في قريش..."[1]، وبوَّب له بعنوان "الأمراء من قريش"، وفي لفظ الطبراني "الأئمة" بدل "الأمراء"، وله شاهد من حديث علي "ألا إن الأمراء من قريش ما أقاموا ثلاثًا" رَفَعَه من طريق سعد بن إبراهيم عن أنس بلفظ: "الأئمة من قريش ما إذا حكموا فعدلوا" الحديث، وأخرجه النسائي والبخاري أيضًا في "التاريخ"، وأبو يعلى من طريق بكير الجزري عن أنس، وله طرق متعددة عن أنس، منها للطبراني من رواية قتادة عن أنس بلفظ: "إن الملك من قريش" الحديث، وأخرج أحمد هذا اللفظ مقتصرًا عليه من حديث أبي هريرة، ومن حديث أبي بكر الصديق بلفظ: "الأئمة من قريش"، ورجاله رجال الصحيح، لكن في سنده انقطاع، وأخرجه الطبراني والحاكم من حديث عليٍّ بهذا اللفظ الأخير[2].

ويبين ابن خلدون في مقدمته الحكمة من اختصاص النبي ﷺ قريشًا بهذا الأمر، فقال: "وذلك أن قريشًا كانوا عصبة مُضر وأصلهم وأهل الغلب منهم، وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف، فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم، فلو جعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم، ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر أن يردهم من الخلاف ولا يحملهم على الكثرة، فتتفرق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم؛ لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما إذا كان الأمر في قريش؛ لأنهم قادرون على سوق الناس بِعَصَا الغلب إلى ما يراد منهم، فلا يُخشى من أحد من خلاف عليهم ولا فرقة؛ لأنهم كفيلون ـ حينئذ ـ بدفعها ومنع الناس منها، فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة"[3].

فقد فسر ابن خلدون هذا الحديث ـ مبينًا صحته ـ بأنه ﷺ راعى ما كان لقريش في عصره من القوة والعصبية التي يرى أن عليها تقوم الخلافة أو الملك[4].

فإذا كان الحديث صحيحًا وقد ورد في كل كتب السنة الصحيحة بألفاظ مختلفة، برواية جمع من الصحابة عن النبي ﷺ غير أبي هريرة بالإضافة إلى أن هذا الحديث لا يخالف الواقع؛ فقد تحقَّق ما قاله النبي ﷺ في أمر الخلافة، وهذا ـ كما بيَّنا ـ هو مصلحة الأمة لقوة قريش وعصبيتها ـ إذا كان ذلك فلماذا العجب والاستغراب من رواية أبي هريرة لهذا الحديث إذن؟!

وبعد هذا العرض الذي قمنا به تبين لنا أن

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الأحكام، باب: الأمراء من قريش، (١٣/ ١٢٢)، رقم (٧١٣٩).
٢. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (١٣/ ١٢٢، ١٢٣).
٣. مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط٦، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص١٩٥.
٤. المدخل لدراسة السنة النبوية، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٥٥.

الأحاديث التي رواها أبو هريرة وزعموا أنها من العجائب والغرائب هي أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ رواها صحابة آخرون غير أبي هريرة، ولا غرابة في متنها بل الغرابة في عقول أعداء أبي هريرة وأفهامهم المريضة.

وقد تعرض الحاكم رحمه الله في المستدرك لكل من تكلم في أبي هريرة رضي الله عنه، وجعلهم أصنافًا، وكأنما يرد على هؤلاء المعاصرين، فقال رحمه الله: وإنما يتكلم في أبي هريرة لدفع أخباره مَنْ قد أعمى الله قلوبهم، فلا يفهمون معاني الأخبار.

إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم ـ الذي هو كفر ـ فيشتمون أبا هريرة، ويرمونه بما قد نزهه الله تعالى عنه تمويهًا على الرعاء والسفل، أن أخباره لا تثبت بها الحجة.

وإما خارجي يرى السيف على أمة محمد ﷺ ولا يرى طاعة خليفة، ولا إمام ـ إذا سمع أخبار أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ خلاف مذهبهم الذي هو ضلال، لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان كان مفزعه الوقيعة في أبي هريرة.

أو قدري اعتزل الإسلام وأهله، وكفَّر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدَّرها الله تعالى، وقضاها قبل كسب العباد لها ـ إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة التي قد رواها عن النبي ﷺ في إثبات القدر لم يجد بحجة يريد صحة مقالته التي هي كفر وشرك، كانت حجته عند نفسه أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها.

أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه وأخباره، تقليدًا بلا حجة ولا برهان، تكلم في أبي هريرة، ودفع أخباره التي تخالف مذهبه... ثم أخذ الحاكم رحمه الله يذكر بعض الأحاديث التي استشكلت من أحاديث أبي هريرة ويجيب عنها[1].

فهذه كلمة الحق في راوية الإسلام أبي هريرة رضي الله عنه وهذا هو ما ذهب إليه أئمة الهدى وأعلام التقى، وكبار فقهاء الإسلام ومحدثيه، وإن صحابيًّا يظل يحدث الناس سبعًا وأربعين، ويبلغ الآخذون عنه ثمانمائة من أهل العلم، لا يعرف أن أحدًا من الصحابة بلغ مبلغه في الآخذين عنه، وكلهم يجمع على جلالته والثقة به، وينطوي على ذلك تاريخ الإسلام أربعة عشر قرنًا من الزمان، وكلها شهادات حق وصدق في أحاديثه وأخباره، ليأتي اليوم من يشكك فيه، ويزعم أن المسلمين جميعًا أئمة وأصحابًا وتابعين ومحدثين كانوا مخدوعين فيه، ولم يعرفوه على حقيقته وأنه كان يكذب ويفتري في الواقع، فهذا إزراء واستخفاف بعقول هذه الأمة وعلومها ودينها أعظم من هذا؟! وصدق الله ﷻ إذ يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ (الحج).

الخلاصة:

- إن أحاديث تكثير القليل من الطعام للنبي ﷺ أحاديث صحيحة متواترة عنه ﷺ، ورواها البخاري ومسلم في صحيحهما، كما أن هذه الأحاديث لم ترد عن أبي هريرة وحده، وإنما رُويت عن بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم أضعافهم من التابعين، ثم تزايد العدد بعدهم وكثر.

---

١. المستدرك، الحاكم، مرجع سابق، (٣/ ٥٨٦).

• هذه الأحاديث التي نحن بصددها هي من معجزات النبي ﷺ، وهذه المعجزات علامات على نبوته، فكل نبي مرسل أيَّده الله بالمعجزات فما وجه الغرابة في ذلك؟ ولماذا يأخذون على أبي هريرة مثل هذه الأحاديث؛ وقد رواها غيره كثير، وهل تُعدُّ من الغرائب بعدما وقع كثير منها وتحقق، وما زال الواقع يكشف لنا كل يوم عن تحقق نبوءاته ﷺ.

• إن الأحاديث التي بها إخبار عن الفتن والملاحم من عوامل تثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين حين وقوعها؛ لأنهم قد علموا سلفًا حتمية تلك الفتن من هذه الأخبار، لذلك لا ينظرون إليها على أنها كوارث بقدر ما تثبت الإيمان في القلوب فلا تتزلزل وقت الفتن.

• إن الشفاعة ثابتة بالقرآن الكريم لرسول الله ﷺ لقوله ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ (الأنبياء: ٢٨)، وقال ﷻ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، فلماذا الطعن في أحاديث أبي هريرة التي تحدثت عن الشفاعة وقد ذكرها المولى ﷻ في كتابه؟ وكيف نقول على أمر أثبته الله في كتابه: إنه من العجائب والغرائب؟!

• لقد ثبت أن حديث الشفاعة حديث صحيح متواتر عن النبي ﷺ، رواه جمع من الصحابة غير أبي هريرة ﷺ، ورواه الإمام البخاري في كتاب التفسير وكتاب الإيمان أيضًا.

• أحاديث الفتن أحاديث صحيحة رواها أبو هريرة ومجموعة جليلة من كبار الصحابة الكرام، ومما يؤيد صحة هذه الأخبار التي تحدثت عن الفتن والغيبيات أن الإمام البخاري جعل كتابًا خاصًا سماه "الفتن" ضم ثمانية وعشرين بابًا اشتمل على مائة حديث وحديث.

• إن أحاديث الفتن لا غرابة فيها؛ لأنها من الدلائل الواضحة على صدق نبوته ﷺ، فقد أثبتت الأيام والوقائع مصداقيتها عندما وقعت على الوجه الذي أخبر عنه النبي ﷺ، وعلم الغيب اختص الله ﷻ به نفسه، لا يطلع عليه أحد إلا من أذن له، وكان ﷺ ممن أذن الله له بالاطلاع على بعض أمور الغيب.

• إن أحاديث "الأئمة من قريش" وردت في الصحيحين وكتب السنة عن جمع من الصحابة غير أبي هريرة بألفاظ مختلفة، ونصَّ على تواترها الحافظان ابن حجر والسَّخاوي.

• لقد اختص النبي ﷺ قريشًا بذلك لما كان لها من القوة والعصبية التي تقوم بها الخلافة أو الملك في عصره.

• إن هذه الأحاديث التي عدَّها المفترون من العجائب والغرائب بهدف الطعن في راوية الإسلام أبي هريرة ـ لا شيء فيها من الأمور العجيبة، لا سيما وقد رواها جمع غفير من الصحابة غير أبي هريرة ناهيك عن وقوع كثير منها وتحققه، فلماذا يطعن الحاقدون على السنة في أبي هريرة مع أنه لم ينفرد بها؟!